الشباب المغربي في ميدان الأعمال

الثقافة المغربية

- العدد 14 - 6 جمادى الثانية عام 1357 الموافق 3 غشت سنة 1938

لو أن فلاحا بذر الحب في أرضه وقدر محصوله بألف قنطار فكان إنتاجه قنطارا واحدا وسألته كيف موسم حصادك، أتراه فرحا به، مغتبطا بنتيجته، وهل يستطيع مجادل أن يزعم له أن قنطارا يساوي ألفا فيحمله على أن يستبشر وأن يعتقد أن حصاده يكفل له الغناء ويضمن له الرزق طول السنة؟

وهذا موقف المغرب من شبابه الذي ثقف ثقافة فرنسية، كان يؤمل أن يخرجه من حياة ذابلة، وصور قاتمة، إلى حياة نور ونشاط، فيضربون الأمثلة الحقة على تفوق المدنية العصرية، ودعامة دولها، ولكن كان المتخرجون من المدارس العصرية يعدون بالآلاف، والذين يحملون فكرة تجديدية في العلم أو الأدب أو الاقتصاد أو مظاهر الحياة يعدون بالآحاد، ولن يستطيع « شاب غفل » أن يزجزح هذا الاعتقاد المتشائم عن هؤلاء الشبان مهما حاول أن يطيل مقاله، ومهما حاول أن يوهم القراء بضرب الأمثلة المفتعلة كأنه يحدث عن عالم لا صلة لنا به، فلن نستطيع أن نناقشه الحساب، ولن نقوى على أن نزيف زائفها ونقص من مبالغاتها. فشابنا الغفل يدافع بحرارة عن طائفته، وإنا لنعجب من دفاعه ونغتبط بهذا الروح الذي حمله على نقد مقال « شباب غفل » في حماس طورا وسخرية أطوارا. وشأن الدفاع أن تكون من الحبة قبة، ولكن شأن الرد أن تصير تلك القبة حبة؛ فهو يضرب الأمثلة على نشاط الشباب المثقف ثقافة عصرية، ويعدد مظاهر حيويتها في صور متباينة حتى لنخالها بعيدة عن أي تغرير؛ فمن لطائف شابنا الغفل

الساخر أن يعدد أعمال شاب واحد فتتخيل أن كل عمل منها قام به شاب، وبذلك استطاع أن يلقى في روع القراء أن عدد الشباب النشيط اليقظ يعد بالعشرات بينما هو لا يعد إلا بالآحاد.

فهو يتساءل عن مساعدي المجلة، ولا ريب أن من بينهم شابين ثقفا ثقافة عصرية وثقافة قديمة، ثم يعدد من الشباب المثقف ثقافة عصرية أستاذا بالمعهد العلمي، ومن المعلوم أن هذا الأستاذ هو أحد هذين الشابين المساعدين للمجلة، فالمساعد للمجلة والأستاذ بالمعهد شخص واحد، ثم يعدد شابا آخر جمع القصص المغربية في جزأين، ونشرهما بالفرنسية، وعلق عليهما تعاليق علمية تدل على اطلاع واسع طبعت منها الألوف من النسخ ونفذت جميعها، وليس هذا الشاب إلا ذلك الأستاذ بالمعهد المساعد في تحرير المجلة.

وهكذا استطاع أن « يبلف » على أحد تعبير المصريين على القراء، فيعدد أعمال كل فرد من الشباب النشيط ويدلس في تعبيراته حتى تتخيل أن كل عمل منها قام به فرد مستقل من الشباب. وهذه صورة عن جميع الأمثلة التي ضربها لنشاط هؤلاء الشبان في ميدان الأعمال؛ فبقليل من المناقشة تصير مبالغاتها رمادا لا يدر إلا على العيون القصيرة النظر غير المطلعة على حقائق الأمور.

وإذا كان شابنا الساخر يتصور أن هذا العدد الضئيل من الشباب النشيط يكفي لنعتقد أن الشباب المتعلم تعليما عصريا أدى رسالته للحياة المغربية، فإني أخالفه وأومن أن كل المفكرين سواء منهم المثقفين بالثقافة العصرية أو غيرهم يخالفونه كل المخالفة؛ فإن المسؤولية في الحياة لا تلقى على كل الأفراد بالتساوي، بل يتحمل المعلم جزأها الأكبر، لذلك فإن الشباب المثقف ثقافة عصرية يتحمل من اللوم ما لا يتحمله غيره من طبقات الأمة، ولذلك خصصته من بين تلك الطبقات لا لكونه لم يؤد واجبه بينما طبقات الأمة الأخرى أدت واجبها على وجهه الأكمل، بل لأن مسؤوليته في الحياة أخطر وأعظم من مسؤولية غيره. وإني لأعترف للشاب الساخر أني لم أستثن في مقال « شباب غفل » أية

جماعة من هؤلاء الشباب التي تعمل بجد ونشاط عظيمين في سبيل وطنها أو سبيل تطور أمتها. ولكن عذري في ذلك أني أغرقت في التشاؤم لعل روحا من التبرم من مقالي تسري بين أغلبية الشبان الساحقة، والتي هى مثال الخمول، فيعترضون ويناقشون ويسخطون، ولكنهم يضطرون في الأخير أن يعترفوا أنهم لا يعملون، ولعلهم بعد ذلك يفكرون في عمل؛ أما لو استثنيت، فإن كل فرد سيحشر نفسه في زمرة المستثنيين، ولن يرى تبرم ولا شبه تبرم، ولن يكون لمقالي المتشائم بذلك الاستثناء أى صدى استياء، ولن يسخط أمثالك فيحرمنا الاستثناء من أن نكتشف سخريتك التي راقت القراء، فأحبوا منها المزيد. فبفضل « شباب غفل » رأينا من بين الشباب من يستطيع أن يسخر بقلمه، وأن يلذع بتعبيراته، ويحدث من ذلك كل ضجة نرجو ألا تقف عند حد القراءة والتسلية.

ومن الغريب أن كل الأفراد من الشباب المثقف ثقافة عصرية يتساءل لماذا لم أستثن أية طائفة كأنما العاملون من بينهم يعدون بالمإات، وإني تجاهلت أمر هذه المإات كل التجاهل مع أن عدد العاملين مهما دققت الإحصاء لا يعدون إلا بالآحاد؛ وكيف يجوز في مقال ثورة وتعنيف استثناء عشرة أفراد نشيطين يعملون لمبدئهم وبلادهم من بين عشرة آلاف شاب تعلم ولم يخدم نفسه ولا وسطه في أية ناحية من نواحي الحياة.

إن هؤلاء الأفراد العشرة المتازين نشاطا وهمة يشاركون في هذه الحملة على الشباب الذي لم يقدر مهمته في الحياة، ويرون التعليم لم يؤثر على نفوسهم تأثيرا صحيحا.

ومهما يكن من شىء فيجب ألا نفكر في الرضا عن حالتنا، فهى جدا تحتاج إلى ثورة في عنف وتهديم في غير مماطلة ولا تسويف، ومن الواجب أن تكون طائفة الشباب المغربي الخاملة التي تعلمت تعليما عصريا أول من يثار عليها لأنها تجاهلت رسالتها، ورضيت بحالتها، والرضا بالادون طريق الموت.